

تطريب العندليب

اختار السيد جبران النحاس نبذاً من نظمه جمعه في كتاب قال في مقدمته انه جعل هذا النبذ ذكري عهد صباه وذكرى الذين غابوا عن عينه بمغيب ذلك العهد ، وسمى مختاراته : تطريب العندليب ، وأهداها الى مؤدبه الشيخ ابراهيم اليازجي رحمه الله . ومن يدقق في مقدمة هذا « التطريب » يجد أثراً من بيان اليازجي لا يخفى على الذين عالجوا صناعة البيان ، واكثر مختارات السيد جبران النحاس طائفة من قصص « لافونتين » التي عرّبها .

ومهما تكن منزلة الشاعر فليس من الهين عليه أن يعرّب قصص « لافونتين » وأن يفيض في تعريبه روح « لافونتين » وعبقريته ، لأن هذا الشاعر الفرنسي يكاد يكون منقطع النظر في فنه ، ولا سيما في تصوير الحيوانات ، فاذا نظرنا الى رقطاه ، وإلى أرابيه وإلى مواعزه أو الى غيرها من الحيوانات فانا نجد انه يصور ظواهر هذه الحيوانات تصويراً واضحاً محدداً لا يجاريه فيه أحد ، وقد أعاته على البراعة في مذهبه لغته الخاصة ، فان له لغة منتخبة ، قوية اقتبسها عن العامة ، وعن المتقدمين من اصحاب القصص ، ثم ألف بين التعابير التي اقتبسها ، وصحبها في قلبه الصافي ، ولئن لم يخترع موضوعاته اختراعاً فانه ألقى على مقتبساته ما جعله الله عليه من خصب في الطبع ، حتى ملئت بانفعالاته وتجاريبه ، فعرفت قصصه بسهولة المبني ، وببساطة التعبير ، ومن خصائص عبارته انه يبسطها اذا شاء ، ويقبضها اذا شاء ، على قدر الموضوع الذي يمارسه ، فتارة تنصب هذه العبارة فتسرع في انصباها بحسب الشخص الذي تمثله ، وتارة تمهل في مجراها طبقاً لمقتضى الحال .

فان شاعراً هذه عبقريته لا يهون على أي شاعر كان من أمة غير أمته أن ينقل آثاره ويبرع في هذا النقل ، لأن « لافونتين » نسيج وحده ، ولا شك في أن السيد جبران النحاس يعرف هذا الأمر ويعرف ان تطريب عندليبه خال من خصائص لغة « لافونتين » وفنه ، على الرغم من بعد لغة هذا التطريب عن الركائز .

شفيق جبري